بلاغة الحديث النبويّ/أحاديث مختارة من موطّإ الإمام مالك (179هـ)

The Eloquence of the Prophet's Hadith/Selected Hadiths from Muwatta of Imam Malik(179)

الدكتور إبراهيم الفروقي

دكتوراه في اللغة العربية - كلية اللغة العربية - جامعة القاضي عياض بمراكش

أستاذ اللغة العربية بمدرسة سيد الزوين للتعليم العتيق بمراكش

تاريخ الاستلام: 2023/10/2 تاريخ القبول 10/7 / 2023 تاريخ النشر: 2023/10/15

ملخص: وقد اقتصرت في هذا البحث على الأحاديث النبوية، فعنونتُ كلَّ حديث ثُمَّ بيَّنت ما فيه من علم البيان والمعاني والبديع، ولم أعرض لما ورد في هذه الأحاديث من أقوال الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنَّ المقصد هو البحث في أقواله صلَّى الله عليه وسلَّم، وإبانة ما اشتملت عليه من فنون البلاغة.

وقد لَمْلَمتُ مجموعةً من الأحاديث من **((الموطَّإ))**، ولم أستقصِ كلَّ الأحاديث التي احتوتْ ألوانًا من البلاغة؛ بل اخترت منها هذه المجموعة التي قام عليها البحث، ولو ذكرتُ كلَّ الأحاديث؛ لكان البحث أطولَ ممَّا هو عليه. واستوت هذه الدراسة على مقدِّمة، وخمسةٍ وعشرين حديثًا، أوردتها حسب ترتيبها في مصدرها، وختمت ذلك بخاتمة ضمَّنتها ما وصل إليه البحث من نتائج، وأَردفتها بلائحة للمصادر والمراجع المعتمدة فيه.

الكلمة المفتاحية: بلاغة الحديث النبوي، الإمام مالك.

Abstract: In this research, I limited myself to the Prophetic hadiths. I titled each hadith and then explained what it contained in terms of the knowledge of explanation, meanings, and the wonderful, and I did not mention what was mentioned in these hadiths from the sayings of the Companions, may God be pleased with them. Because the purpose is to research his sayings, may God bless him and grant him peace, and to explain the arts of rhetoric they contain.

I collected a group of hadiths from ((Al-Muwatta)), and I did not investigate all the hadiths that contained various types of rhetoric. Rather, I chose this group on which the research was based, even if I mentioned all the hadiths; The search would have been longer than it is. This study was based on an introduction and twenty-five hadiths, which I presented in the order they were arranged in their source, and concluded with a conclusion that included the results reached by the research, and supplemented it with a list of the sources and references approved in it.

Keyword: The eloquence of the Prophet's hadith, Imam Malik.

الحديث النبويّ/أحاديث مختارة من موطّإ الإمام مالك (179هـ)

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا من غير حصرٍ ولا تَعداد، والصلاة والسلام على أشرف الرسل وخير العباد، أنزل عليه القرآن فَعَلى على كلّ خطابٍ وساد، وآتاه الحكمة فكان مفسّرًا ومبيّنًا لكلّ ما أراد، وبعثه بجوامع الكَلِم فأحسن البيان وأجاد، فجعله أبلغَ متكلّمٍ وأفصحَ ناطقٍ بالضاد، فالصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه العُبَّاد الزُّهَّاد، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم التَّناد.

أمَّا بعد: فما بعث الله رسولًا إلَّا بلسان قومه؛ ليُبلِّغَهم دعوته، ويُبيّنَ لهم رسالته، فإن أطاعوه؛ نالوا الأجر والثواب، وإن عصَوه؛ استحقُّوا العقاب والعذاب. قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، [إبراهيم: 5]. وقد بيَّن النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - ذلك أحسن تبيينٍ، وبلَّغه أفضل تبليغ، كما جاء ذلك فيما نُقِل إلينا من أحواله وأفعاله، ووصلنَا من أخباره وأقواله، وقد اعتنتْ بذلك كتب الحديث النبويّ الشريف وغيرها.

وقد امتدح النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - من أُوتيَ حسن البيان، فقال: **((إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا))**، وهذا على قول من رأى أنَّ الحديث مدحٌ للبيان. والمتصفّح لكتب الحديث النبويّ يجد أنَّ الحديث احتوى فنونًا من البيان والمعاني والبديع، فقد كان النبيُّ يورد المعنى الجليل بعبارة صحيحة فصيحة، ويراعي في كلامه ما يقتضيه المقام؛ لذا يروم هذا البحث دراسة الحديث النبويّ واكتشافَ ما تضمَّنه من علوم البلاغة. وقد عُنْوِنَتْ هذه الدراسة بـ**((بلاغة الحديث النبويّ: أحاديث مختارة من موطّإ الإمام مالك (179هـ)))**.

وحملني على البحث في هذا الموضوع أنه قد جمع بين اللغة العربية والحديث النبويّ الشريف، الذي لا ريب أنه قد ضمَّ العديد من الصور البيانية، وتنوَّعت فيه أحوال اللفظ واختلفت وَفق ما يقتضيه المقام، واشتمل على ما يُزيّن الألفاظَ والمعانيَ من المحسّنات البديعية.

واخترت - في هذه الدراسة - **((المُوَطَّأ)) للإمام مالك بن أنس** رحمة الله عليه؛ وذلك لأني كنت حريصاً على النظر في هذا السِّفْر الجليل الذي قد جمع الكثير من الأحاديث النبوية. فاصطفيت منه عدَّة أحاديث تظهر فيها بلاغة الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وقد اهتمّ الباحثون قديمًا وحديثًا ببلاغة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ومِمَّا كُتِب في ذلك: ما ذكره **أبو عثمان الجاحظ (255هـ)** في أوّل الجزء الثاني من كتابه **((البيان والتبيين))**، و**((المجازات النبويّة))** الذي سطَّرتْه يَدَا **الشريف الرضيّ (406هـ)**، و**((إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)) لمصطفى صادق الرافعي (1356هـ)**، و**((روائع من أقوال الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: دراسات أدبية ولغوية وفكرية)) لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (1425هـ)**، و**((البيان النبوي)) للدكتور محمد رجب البيومي (1432هـ)**، و**((من كنوز السُّنة: دراسة أدبية ولغوية من الحديث الشريف)) لمحمّد عليّ الصابونيّ (1442هـ)**، و**((من بلاغة الحديث الشريف)) للدكتور عبد الفتاح لاشين**، و**((بلاغة الحكمة في البيان النبويّ)) للدكتور الحسين أطبيب.**

وأَلَّف - في دراسة البلاغة النبوية - غير هؤلاء ممَّن يضيق عن ذكرهم المجال في هذا الموضع، وأكتفي بإيراد هذه المؤلفات التي اعتنت ببيان بلاغته عليه الصلاة والسلام. وهذا البحث هو لَبِنة تُسهم في بناء الصرح البلاغيّ للحديث النبويّ.

الدكتور إبراهيم الفروقي

الحديث الأول:

طردُ من بدلَّ الدين عن حوض سيّد المرسَلين

جاء عن أبي هريرةَ أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "خَرَجَ إلى المقبرة فقال: **((السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا - إِنْ شَاءَ اللهُ - بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا)). فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ؟ قَالَ: ((بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ))، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: ((أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟)) قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ((فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَلاَ يُذَادَنَّ رَجُلٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلاَ هَلُمَّ، أَلاَ هَلُمَّ، أَلاَ هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: فَسُحْقًا، فَسُحْقًا، فَسُحْقًا))"[1].**

قول رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: **(السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)**، و**(وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ)**، و**(وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ)**؛ هذه جملٌ خبرية من الضرب الابتدائيّ، ويُلقى لخالي الذهن، وتكون فيه الجملة خاليةً من التوكيد. والمراد بذلك إفادة المخاطب الحُكم الذي تضمَّنه الكلام، ويُسمَّى ذلك فائدة الخبر.

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)** فيه إيجاز بالحذف؛ إذ تقديره: ((يا دار قوم))، حُذف حرف النداء، وفيه - أيضاً - مجازٌ مرسلٌ؛ لأنه ذكر (الدار) وأراد مَن يعمُرها، وهم الموتى، والعلاقة المحلِّيّة؛ لذكر المحلِّ وإرادة الذين يحُلُّون فيه.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(وَإِنَّا - إِنْ شَاءَ اللهُ - بِكُمْ لاَحِقُونَ)**، و**(فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ)**، هاتان الجملتان من النوع الطلبيّ، وهذا الضرب يُلقى للمتردّد في الحُكم الذي تضمَّنه الكلام، ويُؤَكَّد فيه الخبر بمؤكِّد واحد. وأُكِّد - هنا - بـ(إنَّ).

وفي قوله: **(بِكُمْ لاَحِقُونَ)** تقديم ما حقُّه التأخير.

وقوله: **(لَمْ يَأْتُوا)** و**(يَأْتُونَ)** فيه طباق سَلْب، وهو: أن يختلف الضدّان إيجابًا وسَلْبًا.

وقوله: **(أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟)** هذا استفهام، والاستفهام هو طلب العلم بشيءٍ ليس معلومًا قبل السؤال؛ لكنه - هنا - خرج عن مقتضى الظاهر؛ لأنه يراد به التقرير؛ لهذا أجابوا بقولهم: ((بلى)).

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ)** هذه الجملة من النوع الإنكاريّ، ويُلقى للمنكِر، ويُؤَكَّد فيه الخبر بأكثر من مؤكِّد. وقد أُكِّدت الجملة بـ(إنَّ) و(قد).

وقوله: **(الْحَوْضِ)** الألف واللام فيه للعهد الذهنيّ؛ فهذا الحوض قد بيَّنه النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - للصحابة في أحاديث أُخَرَ. وهو نهر الكوثر الذي أُعطيَه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم[2].

وقوله: **(فَلاَ يُذَادَنَّ)**، هذا نهيٌ، والنهيّ هو طلب الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام؛ لكنه خرج عن مقتضى ظاهره في هذا الموضع؛ لأنَّ المراد به النصح والإرشاد.

وقوله: **(كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ)**، و(البعير الضالّ): هو البعير الغريب الذي لا يُعرَف صاحِبُه. وشبه الرجل الذي تطرده الملائكة عن الحوض يوم القيامة بالبعير الضالّ الذي يطرده أصحاب الإبل، ويمنعونه من أن يزاحم إبلهم في شرابها؛ وذلك لأنه ليس منها، فكُلَّما أراد أن يشرب مع إبل أحدهم؛ ضربه وطرده حتى يستقيَ إبله، فيبقى البعير الضال عطشانَ مطرودًا ذليلًا.

وقوله: **(أَلاَ هَلُمَّ)** **(أَلاَ)** تنبيه لهم، و**(هلمَّ)**؛ أي: تعالَوا، وهذه لغة أهل الحجاز، يقولون: ((هلمَّ)) للمفرد والمثنّى والجمع، سواء كان مذكّراً أو مؤنّثاً، وهي - على هذا - اسم فعل أمر. ولغةُ بني تميم إجراء (هلمَّ) مجرى الفعل فيُلحقونها الضمير، فيقولون: ((هلمَّ يا رجلُ))، و((هلمَّا يا رجلانِ))، و((هَلُمِّي يا امرأةُ))، و((هلُمُّوا يا رجالُ))، و((هَلْمُمْنَ يا نساءُ))[3].

والمراد بالأمر - في قوله: **(هلُمَّ)** - النصح والإرشاد، فالنبيّ - عليه الصلاة والسلام - ينادي أتباعه ويُرشدهم؛ ليُقبلوا عليه فيسقيَهم من حوضه.

وقوله: **(أَلاَ هَلُمَّ، أَلاَ هَلُمَّ، أَلاَ هَلُمَّ)**، تكرار، يدلُّ على رحمة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بأمّته، وحرصِه على أن يشربوا من الحوض، فقد

([1]) مالك بن أنس الأَصْبَحِيّ: المُوَطَّأ، رواية يَحيى بن يَحيى اللَّيثيّ الأَنْدَلُسِيّ، الناشر دار الغرب الإسلامي - بيروت، تحقيق الدكتور بشّار معروف، الطبعة الثانية، 1417هـ - 1997م، 1/65-66.

([2]) ينظر: البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، كتاب الرقاق، باب في الحَوْضِ وَقَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى -: (إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ)، 8/119-121.

([3]) ينظر: سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م، 1/252، 3/332، 529.

أعاد الكلام ثلاثًا؛ حتى ينتبهوا فيذهبوا إليه.

وقوله: **(فَسُحْقًا، فَسُحْقًا، فَسُحْقًا)** و(السُّحق): البُعد، وهذا دعاءٌ عليهم بعد أن عَلِم أنهم غيَّروا الدين بعده، وكرر ذلك ثلاثًا مبالغةً في ذَمِّهم؛ لعظيم جُرمهم. ونصب: (سُحْقًا) على وجهين: **أحدهما:** أنَّه مفعول به؛ وتقدير ذلك: ((ألزَمَهم اللَّهُ سُحْقًا))، **والآخَر:** أنَّه منصوبٌ على المصدرِ؛ والتقدير: ((سَحَقَهم اللَّهُ سُحْقًا))، فناب المصدرُ عن عامِله، ولا يجوزُ إظهارُ العامِل.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ)** حُذف منه مفعول **(بدَّلَ)**، وهذا إيجاز بالحذف؛ والتقدير: ((قد بدَّلوا الدينَ بعدك)).

الحديث الثاني:

فضلُ الصفِّ الأوّل وصلاتَي العتمة والصبح

عنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: **"((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ)). وَقَالَ: ((الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ)). وَقَالَ: ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ؛ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ؛ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ؛ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))"**[1].

قول رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ)**؛ الخبر - هنا - من الضرب الابتدائي، والمراد بها فائدة الخبر.

وقوله: **(الطريق)** الألف واللام للعهد الذكريّ؛ لأنه سبق ذكر ذلك في قوله: **(بطريق)**.

وقوله: **(فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ)** فيه إيجاز بالحذف؛ إذ المفعول به في الجملتين؛ وتقدير الكلام: ((فَشَكَرَ اللهُ لَهُ صنيعَه، فَغَفَرَ لَهُ ذنبَه)). وكذلك في قوله: **(الْعَتَمَة)** و**(الصُّبْح)** إيجاز بالحذف؛ إذ حُذِف منهما المضاف؛ والتقدير: ((صلاة العتمة))؛ أي: العشاء، و((صلاة الصبح)).

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: **(الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ)** فيه إيجاز بالحذف؛ لحذف المبتدإ؛ والتقدير: ((الأولُ المطعون، والثاني المبطون، والثالث الغَرِق))، وهكذا. أو يكون تقديره: ((هم المطعون))، والباقي عطف على الخبر.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ)** جاءت الألف واللام في **(الناس)** و**(النداء)** و**(الصفّ)** للعهد الذهنيّ؛ أي الناس المعهودون في ذهن المتكلِّم والمخاطَبين، وهم المسلمون المصلُّون، وكذا الأمر في **(النداء)**؛ إذ المراد به النداء إلى الصلاة؛ يعني: الأذانَ، وكذلك **(الصفّ الأول)** المراد به الصفّ الأول في الصلاة.

وقوله: **(لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ... لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ؛ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ؛ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)**، هذه الجمل خبرية من النوع الابتدائيّ، والغرض منها إعلاء همّة المخاطَبينَ وحثُّهم على أن يحرصوا على هذه الفضائل. واستعمل النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - **(ما)**، فأبهم تلك الفضائل ولم يُبيّنها؛ تعظيمًا وتفخيمًا لها.

وقوله: **(ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ)**، هذا أسلوب قصر.

الحديث الثالث:

فضلُ صلاة القائم على صلاة القاعد

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ: **"لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ؛ نَالَنَا وَبَاءٌ مِنْ وَعْكِهَا شَدِيدٌ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ - عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ يُصَلُّونَ فِي سُبْحَتِهِمْ قُعُودًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: ((صَلَاةُ الْقَاعِدِ مِثْلُ نِصْفِ صَلَاةِ الْقَائِمِ))"**[2].

قول النبيّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(صَلاةُ الْقَاعِدِ مِثْلُ نِصْفِ صَلاةِ القائم)** هذا تشبيه؛ إذ شبَّه النبيّ صلاة المرء القاعد بنصف صلاة القائم، وأداة التشبيه **(مثل)**، ووجه الشبه محذوف، وهو الأجر والثواب، ويُسمى التشبيه الذي لم يُذكَر فيه وجه الشبه تشبيهًا مجملًا. فصلاة القاعد في الأجر والثواب مثل نصف صلاة القائم، وهذا إذا كان المصلِّي يستطيع القيام فصلَّى قاعدًا[3].

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(الْقَاعِد)** و**(الْقَائِمِ)** فيه محسّن بديعيّ، وهو الطباق، وهو من المحسّنات المعنوية. والطباق: هو الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام، وهو نوعان: **أحدهما:** طباق الإيجاب - كما في هذا الموضع - وهو الذي لم يختلف فيه الضدّان إيجابًا وسلبًا، **والآخَر:** طباق السلب، وهو

([1]) مالك: الموطأ، 190/1-191.

([2]) مالك: الموطأ، 198/1.

([3]) قد فصَّل الفقهاء في هذه المسألة، ينظر: القُنَازِعيّ: أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن القرطبيّ الأندلسيّ: تفسير الموطأ، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م، 186/1، والباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبيّ القرطبيّ الأندلسيّ: المنتقى شرح الموطإ، الناشر مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332هـ، 241/1-242.

الذي اختلف فيه الضدّان إيجابًا وسلبًا.

الحديث الرابع:

المحافظ على الصلاة تُكفّر عنه ذنوبه

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قال: **"كَانَ رَجُلاَنِ أَخَوَانِ، فَهَلَكَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَذُكِرَتْ فَضِيلَةُ الأَوَّلِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((أَلَمْ يَكُنِ الآخَرُ مُسْلِمًا؟)) قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَانَ لاَ بَأْسَ بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: ((وَمَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ؟ إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلاَةِ كَمَثَلِ نَهْرٍ غَمْرٍ عَذْبٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ؟))"**[1].

قول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(أَلَمْ يَكُنِ الآخَرُ مُسْلِمًا؟)** الاستفهام - هنا - يحتمل أن يكون على ظاهره، ويحتمل أن يراد به التقرير[2]، فإن كان النبيُّ - عليه الصلاة والسلام - لا يعلم حالَ ذلك الرجل، فسألهم عنه؛ فالاستفهام على ظاهره، وإن كان يعلم ذلك؛ فقد خرج الاستفهام عن حقيقته إلى التقرير.

وقوله: **(وَمَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ؟)** جملة إنشائية، والاستفهام فيها ليس على ظاهره؛ وإنما يراد به النفي، والمعنى: أنتم لا تدْرون مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ، فلعلَّها قد رفعته أعلى من درجة أخيه.

وقوله: **(إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلاَةِ...)** هذا قصر إضافيّ، وهو قصر موصوف على صفة.

وقوله: **(إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلاَةِ كَمَثَلِ نَهْرٍ غَمْرٍ عَذْبٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ)**، هذا تشبيه تمثيليّ؛ لأنه تشبيه صورة بصورة، شُبهت حال المسلم الذي يقترف بعض الذنوب - لكنه يحافظ إقام الصلواتِ الخمس - بحالِ الذي يغتسِل في نهر قريب منه على باب بيته كلَّ يوم خمسَ مرات[3]، فكما أنَّ هذا الماء النقيّ العذب يزيل عن البدن الأوساخ والأدران؛ كذلك الصلاة تُكفِّر عن العبد ما ارتكبه من معاصٍ وآثام. فوجه الشبه هو زوال الأذى والمكروه عن المرء، وهذا يشعره براحة وسرور، ويغبطه على ذلك مَن رآه.

وقال الدماميني (827هـ): "يجوز أن يكون هذا من تشبيه أشياءَ بأشياءَ، فشُبهت الصلاةُ بالنهر؛ لأنها تُنَقّي صاحبَها من درن الذنوب كما ينقّي النهرُ البدنَ من الأوساخ التي تعلق به بالاغتسال فيه.

وشبّه قربَ تعاطي الصلاة وسهولتَه بكون النهر قريبًا من مجاوره على باب داره، وشبّه أداءها كلَّ يوم خمسَ مرات بالاغتسال المتعدِّدِ لذلك، وشُبهت الذنوب بالأدران؛ للتأذي بملابستها، وشُبه محوُ السيئات عن المكلَّف بنقاء البدن وصفائِه"[4].

لكنَّ الدماميني رجَّح أن يكون التشبيه تمثيليًّا، فقال: "والأولُ أخلُ وأجزلُ"[5].

وقوله: **(فَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟)** (الدَّرَنُ): الوَسَخُ على البَدَن، والاستفهام - في هذا الموضع - قد خرج عن ظاهره إلى التقرير.

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: **(فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ؟)**: خبرٌ من النوع الطلبيّ، وهو يُلقى للمتردّد في الحكم الذي تضمَّنه الكلام، ويكون مؤكَّدا بمؤكِّد واحد، وأداة التوكيد هي (إنَّ).

الحديث الخامس:

الشَّمس والقمر لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ

عَنْ عَائِشَةَ أمّ المؤمنين أَنَّهَا قَالَتْ: **"خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلَمَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ - صَلى الله عَلَيهِ وَسَلَمَ - بِالنَّاسِ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ، ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلاَ لِحَيَاتِهِ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ؛ فَادْعُوا اللهَ، وَكَبِّرُوا، وَتَصَدَّقُوا)). ثُمَّ قَالَ: ((يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ**

([1]) مالك: الموطأ، 247/1.

([2]) هذان الاحتمالان في الاستفهام قد ذكرهما أبو الوليد الباجي، ينظر: الباجي: المنتقى شرح الموطإ، 310/1.

([3]) ينظر: الدماميني: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمر القرشيّ المخزوميّ الإسكندرانيّ: مصابيح الجامع، وهو شرحُ الجامع الصحيح للإمام البخاريّ المشتملُ على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه، تحقيق نور الدين طالب، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م، 215/2.

([4]) الدماميني: مصابيح الجامع، 215/2-216.

([5]) المصدر نفسه، 216/2.

يَزْنِي عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِي أَمَتُهُ. يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ؛ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))"[1].

قول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ)**؛ جملة خبرية، وهي من الضرب الطلبيّ؛ إذ أُكِّد فيها الخبر بمؤَكِّد واحد وهو (إنَّ). وقال ذلك عليه السلام لمَّا مات إبراهيم ابنه، ووافق يومُ موته كُسُوفَ الشَّمْس، فظنَّ بعض الناس أن الشمس إنما كُسفت لموته.

وقوله: **(لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلا لِحَيَاتِهِ)** هذه جملة خبرية من النوع الابتدائيّ، والغرض منها فائدة الخبر.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلا لِحَيَاتِهِ)** في (الموت) و(الحياة) طباق إيجاب.

وقوله: **(وكَبِّرُوا)** و**(تَصَدَّقُوا)** فيهما إيجاز بالحذف؛ إذ حُذِف من الأول المفعول به؛ والتقدير: ((كبِّروا الله تبارك وتعالى))؛ أي: ((قولوا: الله أكبر))، وحُذف من الثاني متعلِّقه؛ والتقدير: ((تصدَّقوا على المحتاجينَ)).

وقوله: **(يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ)** في هذا النداء إشفاق عليهم ورحمة بهم، قال أبو الوليد الباجي (474هـ): "وناداهم بـ(يا أمة محمد) على معنى إظهار الإشفاق عليهم، والتذكير لهم بما يعملون به؛ إشفاقًا عليهم ورحمةً لهم، كما يخاطب الرجل ولده: ((يا بُنَيَّ))، وأخاه: ((يا أَخي))"[2].

وقوله - عليه الصلاة واللام -: **(وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)** هذه جملة خبرية من الضرب الإنكاريّ؛ لوجود القسَم و(مِنْ)، وهي من الأحرف الزائدة للتوكيد، وتُفيد استغراق الجنس؛ أي: أنه لا أحدَ أشدُّ غيرةً من الله سبحانه وتعالى.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(مَا أَعْلَمُ)** استعمل (ما)، ولم يُبيّن هذا الشيء الذي لو علموه؛ لضحِكوا قليلًا ولبكَوْا كثيرًا، فأبهم ذلك؛ للتعظيم والتفخيم، وأنَّ ذلك ممَّا تضيق عنه العبارة. وعدمُ التصريح به يجعل المخاطَب يتخيَّل كلَّ ما يحمله على قلّة الضحك وكثرة البكاء، فيكون ذلك باعثًا له على الجدِّ والحذر والاستعداد.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)** في هاتين الجملتين مقابلة، والمقابلة من المحسّنات البديعية المعنوية، وهي أن يأتي المتكلِّم بمعنيينِ أو أكثر ثُمَّ يأتي بما يُقابل ذلك على الترتيب، فقد أتى الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالضحك والقلّة ثُمَّ قابل ذلك بالبكاء والكثرة على الترتيب.

الحديث السادس:

المطر من فضل الله ورحمته

عَنْ زيدِ بْنِ خالدٍ الْجُهَنِيّ أنه قال: **"صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ - صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ - صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ؛ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: ((أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟)) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِي. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))"[3].**

قول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟)** الاستفهام قد خرج عن غرضه الأصليّ إلى غرض آخر، وهو تشويق المخاطَبين وترغيبهم في معرفة ما يُلقى إليهم. وفي هذا الأسلوب إثارة لانتباه السامع.

وقوله: - مخبرًا عن الله -: **(قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِي)** هذه جملة خبرية من النوع الابتدائي، والغرض منها فائدة الخبر، وفي ذلك زيادة لشدِّ انتباه المخاطَبين؛ لأن ذلك يبعثهم على التساؤل: ما سبب ذلك؟

وقوله - مخبرًا عن ربّه -: **(مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِي)** في هذا طباق إيجاب.

وقوله - إخبارًا عن ربّه -: **(فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)** هذا من المحسنات البديعية، ويُسمَّى: (التقسيم)، وهو أن يجمع المتكلِّم بين شيئين أو أكثر، ثُمَّ يُقسِّم ما جمعه، فيجعل لكلِّ قسمٍ ما يخصُّه على التعيين[4]. فبعد أن قال: **((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِي))**؛ بيَّن ذلك فأضاف إلى كلّ قسم ما يتعلَّق به.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(كَذَا وَكَذَا)** هذه كناية عن أسماء الكواكب.

([1]) مالك: الموطأ، 260/1.

([2]) الباجي: المنتقى شرح الموطإ، 328/1.

([3]) مالك: الموطأ، 266/1-267

([4]) ينظر: السكاكيّ: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م، 425.

الدكتور إبراهيم الفروقي

الحديث السابع:

(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) تحطُّ عن العبد خطاياه

عَن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: **"((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ))"**[1].

قول النبيّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ...)**؛ هذه جملة خبرية من الضرب الابتدائيّ، والغرض منها استنهاض الهِمَم، والحفاظ على هذا الذكر اليسير المبنى العظيم الأجر والمعنى.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ)** شُبهت الخطايا بالحمل الثقيل بجامع حصول التعب والضرر؛ إذ الحمل الثقيل يُتعب الذي يحمله؛ بل قد يُؤذي ظهره. ثُمَّ حُذِف المشبَّه به ورُمِز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: **(حطَّت)**، وهذا على سبيل الاستعارة المكنية. وأصل الكلام: ((حُطَّت عنه خطاياه التي تُشبه الحملَ الذي يُثقل ظهرَ حامله)).

وقوله: **(وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)** هذا تشبيه مرسل مجمل؛ لأنه قد ذُكرت فيه أداة التشبيه، وهي (مثل)، وحُذِف منه وجه الشبه. وشُبّهت الخطايا في كثرتها بزَبَد البحر؛ يعني: رَغْوتَه، وذلك أنَّ البحر إذا اشتدَّت أمواجه؛ كثر زبده. فوجه الشبه هو الكثرة.

فالنبيّ الكريم يحثُّ أمَّته على التزام ذكر الله تبارك وتعالى؛ لما في ذلك من المنفعة العظيمة؛ إذ يُكفّر الله عن العبد الذاكر ذنوبَه، وإن عظُمت كثرةً فكانت مثل زبد البحر المتلاطم الأمواج.

وكذلك في قوله - عليه الصلاة والسلام -: **(وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)** إيجاز حذفٍ؛ لأنه حُذِف منه جواب الشرط، وقوله: **(حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ)** دليلٌ عليه؛ والتقدير: ((وَإِنْ كَانَتْ خطاياه مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ؛ حُطَّت عنه)). وهذا على قول من ذهب إلى أنَّ الجواب محذوف وما قبله يدلُّ عليه، ومن رأى أنَّ الجواب متقدِّم، فلا حذف فيه حينئذٍ.

الحديث الثامن:

الدعاء في جوف الليل

عنْ عبد اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ: **"أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم كان إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يَقُولُ: ((اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))"**[2].

قول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ)** فيه تقديم ما حقّه التأخير، واللام في **(لك)** للاستحقاق، فالحمد مستحقّ لله تعالى، والجار والمجرور **(لك)** متعلّق بمحذوف خبر المبتدإ **(الحمد)**؛ تقديره: ((مستحقٌّ لك أو واجبٌ لك))، والأصل في الخبر التأخير، فدلَّ هذا التقديم على أنه يُفيد قصرَ الحمد على الله وتخصيصَه به سبحانه.

وكذلك قدَّم ما حقُّه التأخير في قوله: **(لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ)**، وهذا يُفيد القصر أيضًا.

وقد تكرَّر قوله - عليه الصلاة والسلام -: **(وَلَكَ الْحَمْدُ)** ثلاثًا؛ لأنَّ الحال تقتضي ذلك؛ لأنَّ هذا دعاء، والدعاء يناسبه الإطناب. وكذلك الأمر في تكرار قوله: **(الحق)**.

وقوله: **(أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ)** في هذه الجمل سجعٌ، وهو محسّن بديعيّ لفظيّ؛ لأنه اتَّفقت فواصلُ تلك الجمل في الحرف الأخير، وهو القاف.

واستعمل السجع - أيضًا - في قوله: **(لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ)**، و**(قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ)**؛ لاتّفاق فواصل هذه الجمل في الحرف الأخير، وهو التاء.

وقوله: **(أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)**، و**(أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)**، و**(أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ)**، و**(لِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ)**، و**(أَنْتَ إِلَهِي)** هذه جمل خبرية من النوع الابتدائيّ، والغرض منها فائدة الخبر.

([1]) مالك: الموطأ، 288/1.

([2]) مالك: الموطأ، 296/1.

وقوله: **(أَنْتَ الْحَقُّ)**، هذا قصرٌ حقيقيٌّ؛ إذ قصر الحقَّ على الله - تعالى - دون غيره[1].

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(الْجَنَّةُ)** و**(النَّارُ)**، و**(قَدَّمْتُ)** و**(أَخَّرْتُ)**، و**(أَسْرَرْتَ)** و**(أَعْلَنْتُ)** هذه الكلمات فيها طباق إيجاب؛ إذ جمع بين الشيء وضدّه، فقد ذكر **(الجنة)** وجاء بضدّها وهي **(النار)**، وأتى بقوله: **(قَدَّمْتُ)** وضدّه **(أَخَّرْتُ)**، وكذلك **(أَسْرَرْتَ)** و**(أَعْلَنْتُ)**.

وقوله: **(السَّاعَةُ)** في هذا اللفظ كناية؛ إذ كنّى بـ**(الساعة)** عن يوم القيامة، وهي كناية عن موصوف.

وقوله: **(فَاغْفِرْ لِي)** خرج الأمر عن حقيقته إلى غرض آخر، وهو الدعاء؛ لأنه من العبد إلى الله.

وقوله: **(بِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ)** في الجملتين إيجاز بالحذف؛ لحذف المفعول به منهما.

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ)** هذا أسلوب القصر؛ لأنه استعمل فيه النفي والاستثناء، فقد قصر الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - الألوهيةَ والعبوديةَ على الله سبحانه وتعالى؛ لاستحقاقه ذلك. وأتى بـ(لا) النافية للجنس، وخبرها محذوف للعلم به؛ وتقدير الكلام: ((**لاَ إِلَهَ حقٌّ إِلاَّ أَنْتَ**)). قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[2]، وقال - تبارك وتعالى -: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[3].

الحديث التاسع:

العائد في صدقته كالكلب الذي يأكل قيئه

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قال: **"سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَقُولُ: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ عَتِيقٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُ قَدْ أَضَاعَهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ مِنْهُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَائِعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((لاَ تَشْتَرِهِ، وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ. فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ))"**[4].

قول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(لاَ تَشْتَرِهِ)** هذا نهيٌ، وجاء على معناه الحقيقيّ، وهو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

وقوله: **(وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ)** فيه إيجاز بالحذف؛ لحذف جواب الشرط؛ لدلالة ما تقدَّم عليه؛ أي: ((وإن أعطاكه بدرهم؛ فلا تشتره)). وهذا على مذهب من قال: إنَّ الجواب محذوف وما قبله دليل عليه، ومن رأى أنَّ الجواب هو ما عدَّه غيرُه دليلًا؛ فليس في الكلام حذفٌ على هذا المذهب.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(الْعَائِدِ)** و**(يَعُودُ)** في هذا جناس الاشتقاق، وهو أن تتّفق الكلمتان في مادة لغوية واحدة، والمادة التي اتّفقت فيها هاتان الكلمتان هي (عود).

وقوله: **(فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ...)** هذه جملة خبرية من النوع الطلبيّ الذي يُلقى للمتردّد في الحكم الذي يتضمنه الكلام.

وقوله: **(فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ، كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ)** شبّه حال مَن يتصدَّق على الفقير بصدقة، ثُمَّ يأخذ المتصدّق منه ما أعطاه، بحال الكلب الذي يقيء ما في بطنه، ثُمَّ يأكل هذا القيء. ووجه الشبه هو إخراج شيءٍ وتغيُّره عن حاله التي كان عليها، ثُمَّ إرجاع هذا الشيء إلى المكان الذي خرج منه. وهذه الصورة التي شبّه بها النبيّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - حال العائد في صدقته صورةٌ تَنفُر منها النفوس؛ لأنها غاية في الخسّة والرداءة، وهذا؛ لينفر من هذا الفعل الدنيء. فكما أن الطعام الذي خرج من بطن الكلب عن طريق فمه؛ قد تغيّر عن حال الطعام، فصار مستقذرًا تستقبحه النفس، فكذلك الصدقة التي أخرجها المتصدّق قد تغيَّرت؛ لأنه تطهَّر بها مالُه فصارت من أوساخه.

الحديث العاشر:

الصيام جُنَّة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: **"((الصِّيَامُ جُنَّةٌ. فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا؛ فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَجْهَلْ. فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ))"**[5].

قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(الصِّيَامُ جُنَّةٌ)** هذا تشبيه بليغ، والتشبيه البليغ هو ما حُذِفتْ منه الأداة ووجه الشبه، وأصل الكلام: ((الصيام

---

(1) هذا القصر يكون إذا عُرِّف خبر المبتدإ بالألف واللام، ينظر: الجرجانيّ: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: دلائل الإعجاز، تحقيق أبي فهر محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الخامسة 1424هـ - 2004م، 177-178، والسامرائيّ: فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م، 172.

(2) سورة الحج: الآية، 60.

(3) سورة لقمان: الآية، 29.

(4) مالك: الموطأ، 1/378-379.

(5) مالك: الموطأ، 1/415.

كالجُنّة في الوقاية)).

فقد شبه النبيّ - عليه الصلاة والسلام - الصيام بالجُنة. و(الجُنّة): هي درع الحديد الذي يلبسه المحارب؛ ليتّقي به طعنات الرماح وضربات السيوف. ووجه الشبه اتّقاء الشر والأذى، فالصوم يتقي به صاحبه الشهوات في الدنيا، والعقاب في الآخرة.

فكأن المسلم ما دام في الدنيا هو في معركة؛ لأنه معرَّض للوقوع في الشهوات والمعاصي، كما أنَّ الذي في الحرب معرَّض للجرح، والطعن، والقتل، ولا يتّقي ذلك إلَّا بهذا الدرع الحديديّ الذي يلبسه، وكذلك الصائم يكسر شهوة المشرب والمطعم والمنكح بصومه،

وفي قوله - عليه الصلاة والسلام -: **(الصيام)** و**(صائم)** جناس اشتقاقيٌّ؛ لاتفاق الكلمات في مادة واحدة وهي (صوم).

وقوله - صلوات ربي وسلامه عليه -: **(فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَجْهَلْ)** هذ النهي قد خرج عن ظاهره؛ لأنه يراد به النصح والإرشاد.

وقوله: **(فإن امْرُؤٌ)** نكرة في سياق الشرط تُفيد العموم والشمول.

وقوله: **(فَلْيَقُلْ)** يراد بالأمر - في هذا الموضع - الإرشاد والنصح.

وقوله: **(إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ)** جملتان خبريتان من النوع الطلبيّ، وفيها - أيضًا - تكرار؛ وهذا لردع ذلك الشخص الذي قصد قتاله أو شتمه.

الحديث الحادي عشر:

خَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: **"((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي. فَالصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، إِلاَّ الصِّيَامَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))"[1].**

قول رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ)** هذا خبر من الضرب الإنكاريّ؛ لوجود القسَم ولام التأكيد.

فالمسلم إذا صام تغيَّرت رائحة فمه، والنبيُّ - عليه الصلاة والسلام - يُبيّن أنَّ هذه الرائحة وإن كانت كريهةً، فهي أطيب عند الله من رائحة المسك، وأقسم على ذلك؛ ليُقرِّر هذا الحُكم في أذهان السامعينَ.

وقوله - عليه السلام -: **(إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي)** فيه قصر؛ لاستعمال **(إنما)**، وهو قصر صفة على موصوف؛ أي: أنَّ تركَ الصائم لهذه الشهوات إنما هو لله - سبحانه وتعالى - دون غيره، وذلك لاختصاص الله بالعبادة.

وقوله - صلوات ربّي وسلامه عليه -: **(الصَّائِم)** و**(الصِّيام)** في ذلك جناس الاشتقاق.

وقوله: **(فَالصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ)** هذه الجمل خبرية، وهي من النوع الابتدائيّ، والغرض منها الحثّ على عبادة الله - عزَّ وجلَّ - وبيان فضله وسعة كرمه.

الحديث الثاني عشر:

مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: **"((مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَفْتُرُ مِنْ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ حَتَّى يَرْجِعَ))"[2].**

قول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الدَّائِمِ...)** شبه حال الذي يجاهد في سبيل الله بحال الذي يستديم الصيام والقيام ولا يفتر عن ذلك، ووجه الشبه كثرة الثواب وعظمته، حتى إنَّ هذا المجاهد في سبيل الله لَيُؤجَر في حركته وسكونه، فلا يزال مشابهًا للقائم الصائم الدائم إلى أن يعود من جهاده.

وقوله: **(الصَّائِمِ الْقَائِمِ الدَّائِمِ)** في هذه الكلمات جناس غير تام؛ لاختلافهنَّ في الحرف الأول. فشروط الجناس التامّ: أن تتّفق اللفظتان في أربعة أشياء، وهي: نوع الحروف، وشكلُها، وعددُها، وترتيبُها. والجناس غير التامّ: هو ما اختلفت فيه الكلمتان في واحد من هذه الأمور الأربعة.

وقوله: **(الْقَائِمِ)** هذا مجاز مرسلٌ؛ لأنه أطلق (القائم) وأراد به المصلّي، فذكر حالةً من حالات المصلّي، وهي القيام، وأراد المصلّيَ نفسه، فالعلاقة الجزئية؛ لأنه أطلق الجزء وأراد الشيء كلَّه، وهذا حتّى يُنبّه على أهمية هذا الجزء، وهذا الأسلوب كقول الله - تعالى -: (أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا)[3]، فذكر قرآن الفجر، وهو جزء من الصلاة، وأراد الصلاة نفسها؛ تنبيهًا على أهمية قراءة القرآن في صلاة الفجر وعنايةً بذلك.

([1]) **مالك: الموطأ، 416/1.**

([2]) **مالك: الموطأ، 571/1.**

([3]) **سورة الإسراء: الآية، 78.**

وقوله: **(لاَ يَفْتُرُ)**؛ أي: لا يَلين ولا يَضعف، واستعمال الفعل المضارع يدلُّ على الاستمرار.

وقوله: **(صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ)** نكرتان في سياق النفي، وهذا يُفيد الشمول والعموم، فيكون المراد بالصلاة والصيام المفوض منها والنافلة.

وقوله: **(الصَّائِمِ)** و**(صِيَامٍ)** فيه جناس اشتقاقيّ؛ لاتّحاد الكلمتين في مادة واحدة.

الحديث الثالث عشر:

خَيْرُ النَّاسِ مَنْزِلاً عند الله

عنْ عطاءِ بْنِ يَسارٍ أنه قال: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **"((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلاً؟ رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلاً بَعْدَهُ؟ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي غُنَيْمَةٍ[1]، يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))"[2].**

قول النبيّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلاً؟)** هذا إنشاء طلبيّ؛ لوجود الاستفهام؛ لكن لا يراد به - في هذا الموضع - حقيقته؛ لأنه خرج عن ظاهره إلى التشويق. وهذا الأسلوب يجعل المخاطَبين تتطلَّع نفوسهم إلى الخبر الذي يلقيه عليهم المتكلِّم، ويحملهم ذلك على الإقبال على الكلام وحُسن الإصغاء إليه، فيكونون مُتفرِّغين لفهمه، فينتفعون به.

وقوله: **(وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ)** الفعل (آتى) يتعدَّى إلى مفعولين، والمفعول الأوّل **(الزكاة)**، ولم يذكر المفعول الثاني إيجازًا؛ والتقدير: ((وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ مستحقَّها)). ففي الكلام إيجاز حذفٍ.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(غُنَيْمَةٍ)** تصغير غَنم، ويراد به القلّة هاهنا.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ اللهَ)** استعمال الفعل المضارع يفيد دوام المرء على هذه العبادات واستمراره عليها.

وقوله: **(لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)** نكرة في سياق النفي تفيد العموم والشمول، فلا يجوز للعبد أن يُشرك بالله شيئًا مهما كان قدره وعلتْ منزلته.

الحديث الرابع عشر:

طاعة النبيّ خير وبركة

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ: **"أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ بِالشَّامِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ. فَقَالَ: وَاللهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ. فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ((لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ))، وَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ، ثُمَّ قَالَ: ((تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي. اعْتَدِّي عِنْدَ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى، تَضَعِينَ ثِيَابَكِ عِنْدَهُ؛ فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي)). قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ؛ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمِ بْنَ هِشَامٍ خَطَبَانِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيهِ وسلَّم -: ((أَمَّا أَبُو جَهْمٍ؛ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ؛ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ)). قَالَتْ: فَكَرِهْتُهُ. ثُمَّ قَالَ: ((انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ)). فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ"[3].**

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ)** نكرة في سياق النفي تُفيد العموم.

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي)**؛ ومعنى **(يغشاها أصحابي)**: يدخلون إلى بيتها يزورونها. استعمال الفعل المضارع؛ للدلالة على تجدّد الفعل واستمراره. فبعد أن أمر فاطمةَ بنت قيس أن تعتدَّ عند أمّ شَريك؛ نهاها عن ذلك؛ لأنه ربّما نظر إلها - أي: فاطمة - بعض الصحابة؛ لأنهم يدخلون بيت أمّ شريك. وقد كانت امرأةً عجوزًا.

وقوله: **(اعْتَدِّي)**، و**(فَآذِنِينِي)**، و**(انْكِحِي)** - ومعنى **(انكحي)**: تزوَّجي - قد خرج الأمر في هذه الجمل عن حقيقته؛ لأنه يراد به النصح والإرشاد. وكان في أمره - عليه الصلاة والسلام - خيرًا لهذه المرأة، وإن كانت قبلُ كارهةً للزواج من أسامة بن زيدٍ؛ لكن لمَّا أطاعت الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم؛ بارك الله لها في هذا الزواج، وجعل لها في ذلك خيرًا كثيرًا.

([1]) قوله: (غنيمَة) ضُبطت في هذه الرواية بفتح الغين، ولعله خطأٌ مطبعيٌّ؛ إذ أشار محقّق الكتاب إلى أنه في إحدى النسخ (غنيمته) وذكر أنَّ ما أثبته من النسخ و((التمهيد)) لابن عبد البر، وهذا المحقق هو مَن حقّق كتاب ((التمهيد)). وضُبطت هناك بضمّ الغين، وهو ما أُثبت في الأعلى، وكذا جاءت في رواية أبي مصعب الزهريّ، ينظر: مالك بن أنس الأصبحي: الموطأ، رواية أبي مصعب الزُّهْريّ المدنيّ، تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف ومحمود محمد خليل، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م، 351/1، وابن عبد البر: أبو عمر بن عبد البر النَمْريّ القرطبيّ: التمهيد لِما في الموطإ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، تحقيق بشّار عوّاد معروف، وحسن عبد المنعم شلبي، ومحمد بشّار عوّاد، الناشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميّ، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية - لندن، الطبعة الأولى، 1439هـ - 2017م، 274/11.

([2]) مالك: الموطأ، 573/1.

([3]) مالك: الموطأ، 93/2-94.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ)** في هذه الجملة كناية، وهي كناية عن صفة، فقد كنَّى عن كثرة ضرب أبي جهم للنساء بأنه لا يضع العصى عن عاتقه، وقد يراد بها الكناية عن كثرة أسفاره ودوام غيابه.

الحديث الخامس عشر:

اكتحال المرأة الحادّ على زوجها

عَنْ مالكٍ أنَّه بَلَغَه أَنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: **"دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَهِيَ حَادٌّ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ جَعَلَتْ عَلَى عَيْنَيْهَا صَبِرًا، فَقَالَ: ((مَا هَذَا يَا أُمَّ سَلَمَةَ؟)) فَقَالَتْ: إِنَّمَا هُوَ صَبِرٌ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: ((اجْعَلِيهِ فِي اللَّيْلِ وَامْسَحِيهِ بِالنَّهَارِ))"**[1].

(الحادُّ): هي المرأة التي تُوفي عنها زوجها فتمتنع عن الزينة في مدَّة الحداد عليه، وكذلك (المُحِدُّ). يقال: أَحَدَّتِ المرأة، فهي مُحِدٌّ. وحَدَّتْ تَحِدُّ وتَحُدُّ حِدادًا، فهي حادٌّ[2].

(الصَّبِر): هو الدواء المُرّ[3]. وقال الشافعيّ (204هـ): "الصَّبِرُ: يُصَفِّرُ فيكون زِينَةً وليس بطيبٍ، وَأُذِنَ لها فيه أن تجعله باللَّيل حيث لا يراه أحدٌ وتَمسحه بالنهار حيث يُرى"[4].

وقول النبيّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(مَا هَذَا يَا أُمَّ سَلَمَةَ؟)** هذا الاستفهام ليس على ظاهره؛ لأنه يراد به الإنكار؛ لأنّ المرأة إذا تُوفِّيَ عنها زوجها، امتنعت من الزينة والطيب طيلةَ مدَّة الحداد عليه. ولمَّا رأى الرسول ما في عيني أمّ سلمة؛ أنكر ذلك عليها، فقالت: **((إِنَّمَا هُوَ صَبِرٌ يَا رَسُولَ اللهِ))**.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(اجْعَلِيهِ فِي اللَّيْلِ، وَامْسَحِيهِ بِالنَّهَارِ)** في هاتين الجملتينِ محسّن بديعيّ من المحسنات المعنوية، وهو المقابلة، ومعناها في اصطلاح البلاغيين: أن يُؤتى بمعنيين أو أكثر، ثُمَّ يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، فقد قابل النبيّ الكريم بين **(اجعليه)** - الذي هو بمعنى: ضَعيه - وبين **(امسحيه)**، ثُمَّ قابل بين **(الليل)** و**(النهار)**.

وقوله: **(اجْعَلِيهِ)**، و**(امْسَحِيهِ)** قد خرج الأمر عن ظاهره إلى الإرشاد والنصح.

الحديث السادس عشر:

قضاء النبيّ على نحو ما يسمع

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زوج النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أَنَّ رسولَ اللهِ - صلوات الله وسلامه عليه - قال: **"((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ؛ فَلاَ يَأْخُذَنَّ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ))"**[5].

قول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ)** في هذه الجملة قصر إضافيٌّ؛ وهذا قصر للموصوف على الصفة؛ لأنَّ النبيّ - عليه الصلاة والسلام - لا يعلم الغيب إلَّا ما علَّمه الله عزَّ وجلَّ.

وقوله: **(وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ)** جملة خبرية من النوع الطلبيّ؛ لأنها أُكِّدتْ بحرف التوكيد (إنَّ).

وقوله: **(مِنْ بَعْضٍ)** التنوين - هنا - عوضٌ عن اسمٍ؛ والتقدير: **((فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضِكم))**. وفي هذا إيجاز بالحذف.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(مِنْ حَقِّ أَخِيهِ)** استعمل النبيُّ الكريم كلمة (أخ) وأضافها إلى الذي يختصم معه؛ وفي هذا تذكيرٌ للمسلمين المتخاصمين أنَّه مهما كان بينهم من أمور الدنيا؛ فهم إخوة في الدين، فينبغي لهم ألَّا ينسوا ذلك. قال الله - عزَّ وجلَّ -: (إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ)[6] . ولا يجوز لأحدهم أن يأخذ من حقَّ أخيه شيئًا.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ من حقِّ أخيه؛ فَلاَ يَأْخُذَنَّ مِنْهُ شَيْئًا)** جاءت **(شيء)** نكرةً مرَّتينِ: إحداهما: في سياق الشرط، والأخرى: في سياق النهي، وهذا يفيد العموم والشمول؛ لأنه لا يجوز للمسلم أن يأخذ شيئًا من حقّ أخيه، وإن كان ذلك شيئًا يسيرًا.

وقوله: **(فَلاَ يَأْخُذَنَّ)** هذا نهي، والمراد به حقيقة النهي، وقد أتى الفعل مؤكَّدًا بنون التوكيد، واستعمل النون الثقيلة بدل النون الخفيفة؛ وهذا لتأكيد

([1]) مالك: الموطأ، 116/2.

([2]) ينظر: الجوهريّ: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابيّ: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الناشر دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ - 1987م، 463/2، (حدد).

([3]) ينظر: المصدر نفسه، 707/2، (صبر).

([4]) الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ: الأم، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001، 587/6.

([5]) مالك: الموطأ، 259/2.

([6]) سورة الحجرات: الآية، 10.

النهي والمبالغة فيه.

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً من النار)** قصر إضافيّ؛ لأن قصر صفة القطع - والمراد بها الحُكم والقضاء هاهنا - على القطعة من النار. فهو قصر صفة على موصوف.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً)** في هذه الجملة جناس اشتقاقيّ؛ لأنه قد اتفقت الكلمتان في جذر لغويّ واحد، وهو (قطع).

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ)** في كلمة **(أقطع)** استعارة؛ إذ شبَّه الحُكم والقضاء للخصم الكاذب في دعواه الذي هو ألحنُ بحجّته، بالقطع، والجامع الأخذ والانتزاع بالقوّة، واستُعير اللفظ الذي يدلُّ على المشبَّه به، وهو القطع للمشبَّه وهو الحكم والقضاء، ثُمَّ اشتُقَّ من القطع - بمعنى: الحُكم والقضاء - أقطع؛ بمعنى: أحكم وأقضي، فالاستعارة تصريحية؛ لحذف المشبَّه وإبقاء المشبَّه به مُصرَّحًا به. وتبعيّة؛ لأنها جرت في الفعل، والقرينة حاليّة.

وقوله: **(قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ)** في لفظ **(النار)** مجاز مرسل علاقته المسبَّبية؛ لأنه أطلق **(النار)** وهي المسبَّب، وأراد السبب وهو الحقّ أو المال، وهذا كقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾[1]. فقد ذُكِر في هذه الآية المسبَّب وهو النار، وأُريد السبب وهو أموال اليتامى؛ لأن النار لا تُؤكل؛ وإنما يُؤكل ما يكون سببًا مُفضيًا إليها.

فاستعمل النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -كلمة **(النار)**؛ لأنَّه لمَّا كان هذا المال المأخوذ بغير حقٍّ سببًا مُؤدِّيًا بالمقضيّ له إلى دخول نار جهنَّم؛ صار كأنه نارٌ محرقةٌ. وهذا من بلاغته - صلوات الله وسلامه عليه - إذ عبَّر بـ**(النار)**؛ تنفيرًا وتحذيرًا من أخذ المسلم مال غيره بالباطل، وإن قضى له به القاضي؛ لأن حُكم القاضي لا يُحل حرامًا ولا يُحرِّم حلالًا؛ إنَّما يقضي على نحو ما يسمع من كلام المتخاصمين والشاهدين، ويحكم اعتمادًا على ما يظهر له من حُجج وبراهين.

الحديث السابع عشر:

حرمة حقّ المسلم وخطورة اليمين الغموس

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: **"((مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ؛ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ))، قَالُوا: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ، وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ، وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ))، قَالَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ"**[2].

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ)** المراد بـ**(بيمينه)**: القَسَم، وفي هذا استعارة؛ إذ شبَّه القَسَمَ بالسَّيف أو السكِّين أو المقصّ، ثُمَّ حذف المشبَّه به؛ لأنَّ القَسَم لا يقطع، ورمز إلى المشبه به ببعض لوازمه، وهو **(اقتطع)**. فالاستعارة مكنية، والقرينة **(اقتطع)**.

وقوله: **(امْرِئٍ مُسْلِمٍ)** كلمة **(امرئ)** نكرة في سياق الشرط تُفيد الشمول والعموم.

وقوله: **(حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ)** في الجملتين مقابلة؛ لأنه أتى في الأولى بمعنيين: هما: **(حرَّم عليه)** و**(الجنة)**، ثُمَّ جاء بما يقابل ذلك على الترتيب، وهما: **(أوجب له)** و**(النار)**.

والحديث خرج مخرج الوعيد، قال القُنازعيّ (413هـ): "وطريقُ هذا الحديثِ طريقُ الوعيدِ، ولا تُحَرَّمُ الجَنَّةُ ويُخَلَّدُ في النار إلَّا أهلُ الكفر، وقد يخرج من النار قومٌ من المسلمينَ بعد أنِ احْتَرَقُوا فيها، فيَدخلون الجنَّةَ، لا خلافَ بين أهلِ السُّنَّةِ في هذا"[3].

وقوله: **(وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ...)** فيه حذف جواب الشرط؛ والتقدير: ((وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ، فاقتطعه بيمينه الكاذبة؛ فقد حرَّم الله عليه الجنة، وأوجب له النار)). ودلَّ ما تقدَّم من الكلام على جواب الشرط المحذوف، وعلى هذا يكون فيه حذف إيجاز.

وقوله: **(قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ)** يعني: أنَّ الشيء وإن كان قليلًا تافهًا، فحَلَف عليه أحدٌ كاذبًا، وأخذه؛ فقد حُرِّمت عليه الجنةُ، ووجبت له النارُ. وقد كرر النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قوله: **(وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ)** ثلاثَ مرَّاتٍ؛ توكيدًا للكلام، وحفظًا للحقوق، وبيانًا لخطورة أخذها بالباطل.

الحديث الثامن عشر:

من أحيا أرضًا ميّتة؛ صارتْ له

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلى الله عَلَيهِ وَسَلَمَ - قال: **((مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً؛ فَهِيَ لَهُ. وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ))"**[4].

وقول رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً؛ فَهِيَ لَهُ)** (مَن) من ألفاظ العموم، فإن كانت شرطيةً؛ كانت (الفاء) واقعةً في جواب الشرط وجزائه، وإن كانت (مَن) اسمَ موصولٍ؛ فقد ضُمِّنتْ معنى الشرط؛ لأنها أشبهت أداة الشرط؛ للإبهام الذي فيها، وتكون (الفاء) قد ربطت

([1]) سورة النساء: الآية، 10.

([2]) مالك: الموطأ، 270/2.

([3]) القُنازعيّ: تفسير الموطأ، 506/2.

([4]) مالك: الموطأ، 287/2.

الشرط بجوابه. ودخول (الفاء) - إن كانت (مَن) موصوليةً - يدلُّ على أنَّ امتلاك الأرض الميتة قد حصل لصاحبه بإحيائه إيَّاها، ولو قيل: ((مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً هِيَ لَهُ)) - بدون (الفاء) -؛ جاز أن يكون الإحياء سببًا في امتلاكه إيَّاها، وجاز أن يكون امتلاكه حاصلًا له بغير الإحياء[1].

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(مَنْ أَحْيَا أَرْضًا)** شبّه عمارة الأرض بحفر الآبار فيها وغرس الأشجار بالإحياء بجامع الحركة والانتفاع؛ لأنَّ الأرض ذات العيون والآبار والنبات والأشجار يكون فيها نشاط وحركة بجريان مياهها ونموّ أشجارها، فهي كالحيّ من الإنسان أو الحيوان. ثُمَّ استُعير اللفظ الدالُّ على المشبَّه به - وهو الإحياء - للمشبَّه، وهو عمارة الأرض بحفر الآبار وغرس الأشجار، ثُمَّ اشتُقَّ من الأحياء **(أحيا)**؛ بمعنى: عَمَر. فالاستعارة تصريحية تبعية.

ويصحُّ أن تُجرى الاستعارة في لفظ **(الأرض)**، وتكون الاستعارة مكنية، فيقال: شُبهت الأرض بالإنسان أو الحيوان بجامع الحركة والانتفاع في كلٍّ، وحُذِف المشبَّه به، ورُمِز إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو **(أحيا)**. فكلُّ استعارة تبعيةٍ قرينتها استعارة مكنية؛ لكن إذا أُجريت الاستعارة في إحداهما؛ امتنع إجراؤها في الأخرى.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(أَحْيَا)** و**(مَيْتَةً)** فيهما طباق إيجاب.

و**(الِعِرْقُ الظَّالِمِ)** قال مالكٌ - رحمة الله عليه -: "والعِرْقُ الظالمُ كُلُّ ما احْتُفِرَ، أَوْ أُخِذَ، أَوْ غُرِسَ بِغَيْرِ حَقٍّ"[2].

وقال أبو الوليد الباجي - بعد أن ذكر تفسير مالك -:"قال عُرْوَةُ ورَبِيعَةُ: العُرُوقُ أربعةٌ: عِرْقَانِ فوق الأرض، وهما: الغَرْسُ والبِنَاءُ، وَعِرْقَانِ في جَوْفِهَا: المِيَاهُ وَالمَعادنُ. وقال عُرْوَةُ: والباطِنَانِ: البِئْرُ وَالعَيْنُ، قالَا: فَكُلُّ مَنْ عَمِلَ شيئًا مِنْ ذلك في حَقِّ غيره؛ فهو من ذلك"[3].

وقوله: **(وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ)** في هذا مجاز عقليٌّ، والمجاز العقليّ: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له؛ لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة الإسناد الحقيقيّ. وقد أسند الظلم إلى العرق؛ وإنَّما الظالم صاحبه؛ لأنه ظلم بأن جعل هذا العرق في أرضٍ غير أرضه بدون إذن مالكها. ولمَّا كان هذا العرق سببًا في ظُلْم صاحبه؛ جاز إسناد الظلم إليه، والعلاقة السببية.

وقوله: **(حَقٌّ)** نكرة جاءت في سياق النفي، فأفادت العموم.

الحديث التاسع عشر:

لا يكون الْوَلاَءُ إِلَّا لِمَنْ أَعْتَقَ

عَنْ أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ زَوْجِ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: **"أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْ بَرِيرَةُ فَقَالَتْ: إِنِّي كَاتَبْتُ أَهْلِي عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ، فِي كُلِّ عَامٍ أُوقِيَّةٌ، فَأَعِينِينِي. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنْ أَحَبَّ أَهْلُكِ أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ، عَدَدْتُهَا وَيَكُونَ لِي وَلاَؤُكِ، فَعَلْتُ، فَذَهَبَتْ بَرِيرَةُ إِلَى أَهْلِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ ذَلِكَ، فَأَبَوْا عَلَيْهَا، فَجَاءَتْ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهَا وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَقَالَتْ لِعَائِشَةَ: إِنِّي قَدْ عَرَضْتُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَأَبَوْا عَلَيَّ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الْوَلاَءُ لَهُمْ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهَا، فَأَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ((خُذِيهَا وَاشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلاَءَ. فَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ)). فَفَعَلَتْ عَائِشَةُ. ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ - فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: ((أَمَّا بَعْدُ؛ فَمَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ؟ مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِئَةَ شَرْطٍ. قَضَاءُ اللهِ أَحَقُّ، وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ))"**[4].

قول النبيّ الكريم - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(فَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ)** في هذه الجملة أسلوب القصر، فقد قصر الولاء على المُعتق.

وقوله: **(فَمَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ؟)** هذا إنشاء طلبيٌّ؛ لأنه ذُكِر فيه الاستفهام؛ لكن ليس هذا لاستفهام على حقيقته؛ لأنه قد خرج عن ظاهره، وأريد به الإنكار.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(فَمَا بَالُ رِجَالٍ...؟)** استعمل كلمة **(رجال)** فأبهم الذين اشترطوا شروطًا ليست في كتاب الله، مع أنه - عليه الصلاة والسلام - يعرفهم، فبيَّن الخطأ ولم يُصرِّح باسم من ارتكبه؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - رحيم حتّى بمن أخطأ، وفي هذا بيان للحكم مع عدم التشهير بالمخطئ؛ إذ لا مصلحة في ذلك.

وقوله: **(يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا)** في هذه الجملة جناس اشتقاقيٌّ؛ لاتفاق الكلمتين في مادة (شرط).

وقوله: **(وَإِنْ كَانَ مِئَةَ شَرْطٍ)** حُذِف منه جواب الشرط، وما تقدَّم من قوله: **(فَهُوَ بَاطِلٌ)** دليل على الجواب المحذوف؛ والتقدير: ((وَإِنْ كَانَ مِئَةَ شَرْطٍ؛ فهو باطلٌ)). وفي ذلك إيجاز بالحذف.

وقوله: **(قَضَاءُ اللهِ أَحَقُّ، وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ)** في هذه الجمل سجعٌ؛ لأن الفواصل قد اتَّفقت في الحرف الأخير، وهو القاف،

وقوله: **(قَضَاءُ اللهِ أَحَقُّ، وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ)** أظهر اسم الجلالة **(الله)**، وكان يمكن أن يُضمر؛ لأنه قد تقدَّم ذكره في الجملة الأولى، فيقال: ((قَضَاءُ اللهِ

([1]) ينظر: سيبويه: الكتاب، 3/102-103.

([2]) مالك: الموطأ، 2/288.

([3]) الباجي: المنتقى شرح الموطإ، 6/32.

([4]) مالك: الموطأ، 2/334.

أَحَقُّ، وَشَرْطُهُ أَوْثَقُ))، فيكون الضمير عائدًا على اسم الجلالة؛ بَيْدَ أنَّ في إظهار الاسم الكريم تفخيمًا للكلام وتعظيمًا للمعنى، وهذا كقوله الله - تعالى -: (وَلِلهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ)[1]، فقال الله - عزَّ وجلَّ -: (وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ)، فأظهر اسم الجلالة؛ للتفخيم والتعظيم.

قال الزجاج (311هـ): "ولو كانت (واليه ترْجِعُ الأمور)؛ لكان حسنًا؛ ولكن إعادة اسم الله أفخمُ وأوكد، والعرب إذا جرى ذكر شيءٍ مفخَّمٍ؛ أعادوا لفظه مظهرًا غير مضمَرٍ"[2]. وذلك كقول الشاعر:

لَا أَرَى الْمَـــــوْتَ يَسْـــــبِقُ الْمَـــــوْتَ شَيْءٌ ... نَغَّـــــصَ الْمَـــــوْتُ ذَا الْغِـــــنَى والْفَقِـــــيرَا[3]

فكان يمكن أن يقول: ((لا أرى الموتَ يسبقه شيءٌ))، فيُضمر؛ ولكنه أعاد إظهار **(الموت)**؛ لفخامته في نفوس الناس؛ لأنه يتساوى فيه كلُّ مخلوقٍ كيفما كانت حالُه.

الحديث العشرون:

الْمَدِينَةُ النبويّةُ تَنفي خَبَثَهَا

عَنْ يحيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قال: **"سَمِعْتُ أَبَا الْحُبَابِ سَعِيدَ بْنَ يَسَارٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))"**[4].

قول رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(أُمِرْتُ)** بُنِيَ فيه الفعل (أمر) للمفعول، فحذف الفاعل، وناب عنه المفعول به، فارتفع، وهو ضمير المتكلّم (التاء)، وأصل النظم: (أمَرَني اللهُ بقرية)، وجاء التركيب هكذا؛ لأن الآمر معروف، وهو الله تعالى، فحذف الفاعل للعلم به.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ)** في هذه الجملة إيجاز بالحذف؛ لأنه انحذف منها المضاف إليه؛ وتقدير الكلام: ((أُمِرْتُ بِسُكنى قَريةٍ))، أو ((بالهجرة إلى قريةٍ))، أو ((بالخروج إلى قريةٍ)). وحذف ذلك؛ لأن الكلام لا يلتبس على المخاطَب؛ لأنه السياق سيهديه إلى ذلك.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(تَأْكُلُ الْقُرَى)** في هذا مجاز عقليٌّ؛ إذ أُسند الفعل **(تأكل)** إلى القرية؛ أي: مدينة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وهي لا تأكل؛ إنما يأكل أهلُها، والذي سوَّغ إسناد الفعل إليها أنها مكان الفعل، فالعلاقة المكانية.

وقوله: **(يَقُولُونَ: يَثْرِبُ)** في هذا حذف المبتدإ؛ والتقدير: ((يقولون: هي يَثْرِبُ))، ولم يذكر المبتدأ الذي هو ضمير عائد على القرية؛ أي: المدينة النبوية؛ لأنّ النبيَّ - عليه الصلام والسلام - كان يكره الاسم القبيح ويحبُّ الاسم الحسن. و**(يثرب)** اسمٌ لها في الجاهلية، وهو من التثريب الذي هو الملامة والتوبيخ؛ لهذا غيَّره عليه السلام، فسمّاها المدينة. وفي حذف المبتدإ إبعادٌ لضمير المدينة عن يثرب؛ حتى لا يقترن بهذا الاسم، ولو كان ذلك في النطق والرسم. وتسميتُها بيثرب في القرآن؛ إنما هو حكاية قول المنافقين. قال الله - تبارك وتعالى -: (وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا 12 وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ)[5].

وقوله: **(تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ)** شبّه حال المدينة في إجلاء الأشرار عنها من المنافقين وغيرهم بحال الكير الذي يُزيل عن الحديد خبثَه، ووجه الشبه إذهاب ما لا منفعة فيه.

الحديث الحادي والعشرون:

صفة المسيح ابن مريم، والمسيح الدجّال

عن عبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أنَّ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: **"((أَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ، كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ، كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ:**

([1]) سورة آل عمران: الآية، 109.

([2]) الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ بن سهل: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الناشر عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م، 455/1.

([3]) البيت من بحر الخفيف، وهو لعدي بن زيد العبادي كما في ديوانه، ونُسب إلى ابْنه سوَادة بن عدي، وقيل: هو لأميّة بن أبي الصلت، عدي بن زيد العبادي: ديوان عدي بن زيد العبادي: حققه وجمعه محمد جبّار المعيْبد، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد - بغداد، دون طبعة ، 1385هـ - 1965م، 65، وينظر: سيبويه: الكتاب، 62/1، والأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م، 229/1، والأعلم الشنتمريّ: أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1415هـ - 1994م، 86.

([4]) مالك: الموطأ، 464/2.

([5]) سورة الأحزاب: الآية، 12-13.

هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ، أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ))"[1].

قوله: **(أَرَانِي اللَّيْلَةَ)**: أي: أرى نَفسِي في هذه اللَّيْلَة، وأتى بالفعل المضارع بدل الماضي مع أنَّ الحدث قد وقع وتمَّ؛ للمبالغة في استحضار صورة الحال[2]؛ أي: ((كأنّي الآن أَرى نفسي عند الكعبة))[3].

وقيل: الكلام على حذف (كان)؛ والتقدير: ((كنتُ أَراني عند الكعبة))، وهذا على مذهب الكسائيّ (189ه)[4] ونحويّي الكوفة[5]. وكذلك قالوا في قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[6]؛ إذ قدَّروه: ((ما كانت تتلوا الشياطينُ على مُلك سليمان))[7].

وقوله: **(اللَّيْلَةَ)** الألف واللام فيها للعهد الحضوريّ؛ يعني: هذه اللَّيْلَة الحاضرة التي نحن فيها، يقال هذا قبل زوال الشمس، فإذا زالت؛ فهي البارحة. قال ابن منظور (711ه): "والعربُ تقول: ((فَعَلْنَا البارِحَةَ كذا وكذا)) لِلَّيْلَةِ التي قد مَضَتْ، يقال ذلك بعد زوال الشمس، ويقولون قبل الزوال: ((فَعَلْنَا اللَّيْلَةَ كذا وكذا))... والعربُ تقول: ((ما أَشبهَ الليلةَ بالبارحة))؛ أَي: ما أَشْبه الليلةَ التي نحن فيها بالليلة الأُولى التي قد بَرِحَتْ وزالتْ ومَضتْ. والبارِحَةُ: أَقربُ لِيلةٍ مَضتْ، تقول: ((لَقِيتُهُ البَارِحَةَ)) و((لَقِيتُهُ البَارِحَةَ الأُولَى))...

قال ثعلبٌ: حُكي عن أَبي زيد أَنه قال: تقول - مُذْ غُدْوَةٍ إِلى أَن تزول الشمس -: ((رأَيتُ الليلةَ في منامي))، فإِذا زالت؛ قلت: ((رأَيتُ البارِحَةَ))، وذكر السيرافيُّ في ((أَخبار النُّحاة)) عن يونس قال: يقولون: ((كان كذا وكذا الليلةَ)) إِلى ارتفاع الضحى، وإِذا جاوز ذلك؛ قالوا: ((كان البارِحَةَ))[8]"[9].

وقوله: **(فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ، كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ...)** شبّه هذا الرجل الآدم - الذي هو عيسى عليه السلام - في جمال خِلقته بأحسن وأبهى الرجال الأُدْم الذين يمكن أن تراهم عين الإنسان، وكذلك الأمر في تشبيه لِمَّتِه عليه السلام؛ إذ شبَّهها بأحسن اللِّمم التي يُمكن أن تُرى.

وقوله: **(فَرَأَيْتُ)** و**(رَاءٍ)** بين الكلمتينِ جناس اشتقاقيّ؛ لانتمائهما إلى جذر لغويّ واحد، وهو (رأي). وكذلك قوله: **(رَجُلاً)** و**(رَجَّلَهَا)**؛ لاشتراكهما في مادة واحدة، وهي (رجل).

وقوله - عليه السلام -: **(مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ)** في هذا حذف إيجاز؛ لأنه حُذِف منه المفعول به الذي هو العائد على الاسم الموصول **(ما)**؛ والتقدير: ((ما أَنْتَ رَائيه مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ)). وكذلك الشأن في قوله: **(مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ)**.

وقوله: **(كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ)** شبَّه عين المسيح الدجَّال بحبّة عنبٍ بارزة ناتئة عن حدّ العين الأخرى طافية كما يطفو الشيء على الماء، فهي "تَثُور على غيرها من حَبّ العُنقود"[10]. ووجه الشبه بروز شيءٍ مستديرٍ من مكانه.

الحديث الثاني والعشرون:

الإسلام دين الجَمال

عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ أَخْبَرَهُ قال: **"كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ ثَائِرَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ. فَأَشَارَ إِلَيْهِ**

([1]) مالك: الموطأ، 506/2.

([2]) ينظر: القسطلّانيّ: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الناشر المطبعة الكبرى الأميرية - مصر، الطبعة السابعة، 1323هـ، 467/8.

([3]) ينظر: الوقَّشيّ: هشام بن أحمد الوقشي الأندلسيّ: التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه ومعانيه، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر مكتبة العبيكان - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م، 336/2.

([4]) ينظر: المصدر نفسه، 335/2.

([5]) ينظر: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسيّ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق الرحّالي الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسّيّد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادق العناني، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الثانية، 1428هـ - 2007م، 298/1.

([6]) سورة البقرة: الآية، 101.

([7]) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، 298/1.

([8]) ينظر: السيرافيّ: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافيّ: أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، الناشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الأولى، 1374هـ - 1955م، 29.

([9]) ابن منظور: أبو الفضل محمد بن منظور بن مكرَّم بن عليّ: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، الناشر دار المعارف - القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ، 247/1، (برح). (بتصرف).

([10]) الوقَّشيّ: التعليق على الموطأ، 338/2.

رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ أَنِ اخْرُجْ، كَأَنَّهُ يَعْنِي: إِصْلاَحَ شَعَرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ. فَفَعَلَ الرَّجُلُ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: ((أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ ثَائِرَ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ؟))"[1].

قول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ ثَائِرَ الرَّأْسِ)** هذا إنشاء طلبيٌّ؛ لأنه في الكلام همزة الاستفهام؛ لكن قد خرج هذا الاستفهام عن حقيقته؛ لأنه يراد به التقرير.

وقول النبيّ الكريم - عليه الصلاة والسلام -: **(ثَائِرَ الرَّأْسِ)**؛ أي: منتشر الشَّعر متفرّقه، وفيه حذف المضاف؛ والتقدير: ((ثَائِرَ شَعْرِ الرَّأْسِ))، وعلى هذا في الكلام إيجاز بالحذف. وقد يكون من باب المبالغة بأن جعل - عليه الصلاة والسلام - الرأس ثائرًا منتشرًا، ويحتمل أن يكون فيه مجاز مرسل، فأُطلق اسم الرأس وأريد الشعر الذي يوجد على الرأس، فيكون هذا مجازًا مرسلًا علاقته المحلّية؛ لأنه أطلق المحلّ وأراد الحالَّ.

وقول النبيّ - صلوات الله وسلامه عليه -: **(كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ)** شبّه الذي لا يهتمُّ بإصلاح شعر رأسه ولحيته بالشيطان، وهذا تشبيه مرسل مجمل؛ لأنه ذُكِرتْ في الأداة، وهي (كأنَّ)، وحذف منه وجه الشبه، وهو قُبح الهيئة وبشاعة المنظر. والشيطان قد تقرَّر في نفوس الناس أنه في غاية القبح ونهاية البشاعة. وهذا التشبيه كقول الله - تبارك وتعالى -: (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ 62 إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ 63 إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ 64 طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ)[2]. فقد شبَّه الله - سبحانه وتعالى - طلْعَ شجرة الزقّوم - التي أعدَّها للكفرة الظلمة - برؤوس الشياطين؛ وهذا لقبح صورتها وبشاعة منظرها.

الحديث الثالث والعشرون:

حُبُّ الله - سبحانه وتعالى - عبادَه

عن أبي هريرةَ أنَّ النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: **"((إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ؛ قَالَ لِجِبْرِيلَ: قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ الْعَبْدَ)).**

قَالَ مَالِكٌ: لاَ أَحْسِبُهُ إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ فِي الْبُغْضِ مِثْلَ ذَلِكَ"[3].

قول النبيّ: **(إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ)**، و**(إِذَا أَبْغَضَ اللهُ الْعَبْدَ)** استعمل (إذَا)، ولم يستعمل (إنْ)؛ وذلك لأنَّ (إنْ) تدخل على ما يُشكُّ في وقوعه، و(إذَا) تدخل على ما يكون حصوله متوقَّعًا؛ وذلك نحو: ((إنْ جاءك زيدٌ؛ فأحسنْ إليه))، فمجيئه مشكوك فيه. وإن قيل: ((إذَا جاءك زيدٌ؛ فأحسنْ إليه))، فمجيئه متيقَّن الحصول؛ لهذا يقال: ((آتيك إذا غربت الشمس))، ولا يقال: ((إن غربت الشمس)).

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(أَحَبَّ)** و**(أَبْغَضَ)**، و**(السَّمَاءِ)** و**(الأَرْضِ)** في هذه الكلمات طباق إيجاب، فقد ذكر الشيء وضدَّه.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(فُلاَنًا)** كناية عن شخص، وهو العبد الذي أحبَّه الله - تعالى - وأمر الملَك جبريلَ - عليه السلام - بحبّه.

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(فَأَحِبَّهُ)** و**(فَأَحِبُّوهُ)** الأمر - هاهنا - على حقيقته.

وقوله: **(قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَنًا)** جملة خبرية من النوع الطلبيّ؛ لأنه أُكِّد الفعل فيها بـ (قد).

وقوله: **(أَهْلِ السَّمَاءِ)** كناية عن الملائكة، وهذه كناية عن موصوف.

وقوله: **(إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا)** جملة خبرية من النوع الإنكاريّ؛ لأنها أُكِّدت بمؤكِّدين: (إنَّ) و(قد).

وقوله: **(فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ)**، و**(فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ)** هذه الجمل خبريّة، وهي من الضرب الابتدائيّ، وهو يُلقى لخالي الذهن. والغرض منها فائدة الخبر.

الحديث الرابع والعشرون:

لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتاً فيه صورة

عن عائشةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: **"أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ. فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلَمَ؛ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ. فَعَرَفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُوبُ إِلَى اللهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ، فَمَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: ((مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟)) قَالَتِ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ تَقْعُدُ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: ((إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ))، ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ الْمَلاَئِكَةُ))"**[4].

([1]) مالك: الموطأ، 538/2.

([2]) سورة الصافات: الآية، 62-65.

([3]) مالك: الموطأ، 544/2.

([4]) مالك: الموطأ، 558/2.

قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟)** (النمرقة): الوِسادة.، وفي هذه الجملة إنشاء طلبيٌّ؛ لوجود الاستفهام؛ لكن خرج هذا الاستفهام عن حقيقته؛ لأنه يراد به الإنكار.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** هذه جملة خبرية من النوع الطلبيّ، والغرض منها فائدة الخبر، وقد نزّل الخبر الابتدائيّ - في هذا الموضع - منزلة الخبر الطلبيّ؛ وذلك لأنَّ عائشة - رضي الله عنها - لمَّا أنكر عليها الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - اتِّخاذ النمرقة؛ تطلَّت نفسها لمعرفة سبب ذلك.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ)** لا يراد بالأمر - هاهنا - طلب الفعل؛ لأن الأمر ليس على ظاهره؛ ولكن المراد التعجيز.

وقوله - صلوات ربّي وسلامه عليه -: **(مَا خَلَقْتُمْ)** فيه حذف المفعول، وهو العائد على الموصول الاسميّ **(ما)**؛ والتقدير: ((ما خلقتموه)). وهذا إيجاز بالحذف.

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ، لاَ تَدْخُلُهُ الْمَلاَئِكَةُ)** جملة خبرية من الضرب الطلبيّ، والغرض منها فائدة الخبر.

الحديث الخامس والعشرون:

الصدقة أوساخ الناس

عن مالكٍ - رحمه الله - أنَّه بَلَغَهُ، أنَّ رسول اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: **"((لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لآلِ مُحَمَّدٍ. إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ))"**[1].

قول رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لآلِ مُحَمَّدٍ)** جملة خبرية من النوع الابتدائيّ؛ لخلوّها من التوكيد، والغرض منها فائدة الخبر.

وقوله - عليه الصلاة والسلام -: **(لآلِ مُحَمَّدٍ)** جاءت (آل) مضافة إلى محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وفي هذه الإضافة تشريف للمضاف.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه -: **(إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ)** في هذه الجملة قصر؛ لأنه قُصرت الصدقة على الأوساخ، وهذا قصر موصوف على صفة.

وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(هي أَوْسَاخُ النَّاسِ)** هذا تشبيه بليغ؛ لأنَّه قد انحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، وفي حذف الأداة ووجه الشبه مبالغة في الكلام، فيصير المشبَّه هو المشبّهَ به نفسَه؛ لأن الأداة دليلٌ على أن المشبه أضعف في وجه الشبه من المشبه به، ووجهُ الشبه يُشير إلى أن الطرفينِ قد اشترَكَا في صفة أو أكثر دون غيرها.

والمشبَّه هو الضمير **(هي)** الذي يعود على **(الصدقة)**، والمشبَّه به هو قوله: **(أوساخ الناس)**، ووجه الشبة هو التطهير؛ لأنَّ البدن إذا غُسِل بالماء فخرجت منه أوساخُه وتساقطت أدرانُه؛ تنظَّف وتطهَّر، وكذلك الصدقة إذا أُخرِجت من المال، وسُلِّمتْ لمستحقّها؛ تطهَّر المال فنمى، وتطهَّر صاحبه من الذنوب. فالصدقة تُطهِّر المال وتُنمّيه، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿خُذْ مِنَ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[2].

الخاتمة

إنَّ النبيَّ الكريم - صلَّى الله عليه وسلَّم - هو أفصح الناس لسانًا، وأبلغُهم مقالًا، وأعلمُهم بأحوال المتلقّينَ، وقد ظهر ذلك في اختياره للألفاظ والأساليب حسب ما يقتضيه مقام الخطاب، وتبيَّن ممَّا جاء في هذه الدراسة أنَّ أحاديثه - صلَّى الله عليه وسلَّم - قد اشتملتْ على علوم البلاغة الثلاثة: البيان، والمعاني، والبديع.

فقد كان - عليه الصلاة والسلام - يستعمل التشبيه البليغ والتمثيليَّ وغيرها، والاستعارة، والمجاز المرسل، والمجاز العقليّ، والكناية؛ وهذا ليُقرِّب المعنى من المخاطَب، ويُصوِّره له تصويرًا حتَّى كأنه يراه متجسِّدًا ماثلًا أمامه.

وكذلك جاء في هذه الأحاديث مباحث من علم المعاني، كاستعمال الخبر الابتدائي، والطلبيّ، والإنكاريّ، وذلك وَفق ما يطلبه المقام. واستخدم في كلامه - صلوات الله وسلامه عليه - أسلوب القصر، والتقديم والتأخير، والإيجاز بالحذف، والتكرار، والإضافة للتشريف، والتعريف بالألف واللام اللَّتيْنِ أتيتَا للعهد الذهنيّ، والحضوريّ، والذكريّ.

وورد في أقواله - عليه الصلاة والسلام - استعمال الإنشاء الطلبيّ؛ إذ جاء فيها الاستفهام الذي قد خرج عن حقيقته إلى التقرير، أو الإنكار، أو التشويق، أو النفي. كما استخدم الأمر المقصود به النصح والإرشاد، والدعاء، والتعجيز. وكذا أتى بالنهي الذي أريد به النصح والإرشاد، وورد في بعض أحاديثه النداء الذي خرج عن ظاهره إلى الإشفاق.

وأتى في كلامه - عليه الصلاة والسلام - استعمال فنّ البديع من غير تكلُّف ولا إفراط، فتضمَّنتْ أقواله من المحسّنات اللفظية الجناس والسجع، وجاء فيها من المحسّنات المعنوية الطباق والمقابلة.

---

(1) **مالك: الموطأ، 600/2.**

(2) **سورة التوبة: الآية، 104.**

فتبيَّن من هذا البحث أنَّ رسول الله - صلوات ربّي وسلامه عليه - قد استخدم في خطابه علوم البلاغة الثلاثة، وكان يراعي أحوال المتلقّينَ، والغايةُ من ذلك كلِّه حثُّهم على عملٍ محبوبٍ، وترغيبُهم في أمرٍ مطلوبٍ، أو تنفيرُهم من أمرٍ قبيح، وتحذيرُهم من شيءٍ مخُوفٍ.

كما بدا من هذه الدراسة أنَّ مصنَّفات الحديث النبويّ من المصادر التي تُغري الباحثين في علوم اللغة؛ لما اشتملت عليه من علم النحو، وعلم البلاغة، وغيرهما.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م،
- الأعلم الشنتمريّ: أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1415هـ - 1994م.
- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبيّ القرطبيّ الأندلسيّ: المنتقى شرح الموطإ، الناشر مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332هـ،
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ،
- الجرجانيّ: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: دلائل الإعجاز، تحقيق أبي فهر محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الخامسة 1424هـ - 2004م،
- الجوهريّ: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابيّ: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الناشر دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ - 1987م،
- الدماميني: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمر القرشيّ المخزوميّ الإسكندرانيّ: مصابيح الجامع، وهو شرحُ الجامع الصحيح للإمام البخاريّ المشتملُ على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه، تحقيق نور الدين طالب، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م،
- الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ بن سهل: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الناشر عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م،
- السامرائي: فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.
- السكاكيّ: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م.
- سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م،
- السيرافيّ: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافيّ: أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، الناشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الأولى، 1374هـ - 1955م.
- الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ: الأم، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001،
- ابن عبد البر: أبو عمر بن عبد البر النّمريّ القرطبيّ: التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، تحقيق بشّار عوّاد معروف، وحسن عبد المنعم شلبي، ومحمد بشّار عوّاد، الناشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميّ، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية - لندن، الطبعة الأولى، 1439هـ - 2017م،

- عدي بن زيد العبادي: ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه محمد جبّار المعيْبد، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد - بغداد، دون طبعة، 1385هـ - 1965م،
- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسيّ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق الرحّالي الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسّيّد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادق العناني، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الثانية، 1428هـ - 2007م،
- القسطلّانيّ: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الناشر المطبعة الكبرى الأميرية - مصر، الطبعة السابعة، 1323هـ،
- القُنَازِعِيّ: أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن القرطبيّ الأندلسيّ: تفسير الموطأ، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م،
- مالك بن أنس الأصبحي:
  - الموطأ، رواية أبي مصعب الزُّهْريّ المدنيّ، تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف ومحمود محمد خليل، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م،
  - المُوَطَّأ، رواية يَحيى بن يَحيى اللَّيْثيّ الأَنْدَلُسِيّ، الناشر دار الغرب الإسلامي - بيروت، تحقيق الدكتور بشار معروف، الطبعة الثانية، 1417هـ - 1997م.
- ابن منظور: أبو الفضل محمد بن منظور بن مكرّم بن عليّ: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، الناشر دار المعارف - القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ،
- الوقَّشيّ: هشام بن أحمد الوقشي الأندلسيّ: التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه ومعانيه، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر مكتبة العبيكان - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م،